الفتاوى

مِن شرح كتاب الاعتكاف

من مُوَطَّأ الإمامِ مَالِكٍ -رَحِمَهُ الله-

الْمُلْقَاة بالْمَسجِدِ النَّبِوّي ١١-١٣/٩/١٤٤٠هـ

لِفَضِيلَةِ الشَّيخ الدُّكتور

محمد بنِ محمدِ الْمُختارِ بنِ مُحمَّدِ بن مَزْيَدٍ الجَكْنِيِّ الشَّنقيطيِّ

الْمُدرِّسِ بالْحَرَمَينِ الشَّرِيفَين

وعضوِ هيئةِ كبارِ العُلماءِ بالْمَملكةِ العربيَّةِ السُّعوديَّةِ

حفظَهُ اللهُ تَعَالَى وَنَفع بِعِلمِهِ وغَفَرَ لهُ ولِوَالِدَيهِ ولِجَمِيعِ الْمُسلِمِين

ملاحظة: هذه الدُّروسُ لم تُرَاجَعْ من فَضِيلَةِ الشَّيخ -حَفِظَهُ الله-.

رقم الدرس	٢
تاريخه	الجمعة ١٢-٩-١٤٤٠هـ

السؤال الأول:

فضيلةَ الشَّيخِ، هذا سائلٌ يقولُ: نُشهِدُ اللهَ أننا نحبُّك في الله، ثم يقولُ في سؤاله: هل الاعتكافُ في أيّ جامعٍ في مكة، أجرُه مثلُ أجر الاعتكاف في بيت الله الحرام، وجزاك اللهُ خيرًا؟

الجواب:

بِاسمِ اللهِ، الحمدُ لله، والصَّلاةُ والسَّلامُ على خير خلق الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أمَّا بعدُ:

فذهب بعضُ العلماء إلى أنَّ المضاعفةَ في مكة تشملُ مكةَ كلَّها.

واستدلُّوا: بأنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- سمّى مكةَ بالمسجد الحرام، فقال: **{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ}**(١)، والسّري أُبتُدِئَ من بيت أُمّ هانئ، فسمّى مكةَ كلَّها المسجدَ الحرامَ.

قال سبحانه: **{إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا}**(٢)، وقال سبحانه: **{وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ}**(٣)، قالوا: فسمّى مكةَ كلَّها بالمسجد الحرام، فيكونُ قولُه -عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ- ((**المسجدُ الحرامُ بمائة**)) أي أنَّ المضاعفةَ في مكة شاملةٌ للحرم كلِّه.

وهذا القولُ الحقيقةُ **مرجوحٌ في نظري، وكنْتُ أوَلاً أقولُ به، لكن ظهرَ لي** أنَّ السُّنَّةَ لما نصَّتْ على المسجد الحرام المراد مسجد الكعبة، وقد جاء ذاك صريحًا في بعض الرِّوايات: ((**في مسجدِ الكعبةِ**))؛ فدلَّ على اختصاص المضاعفة بالمسجد نفسِه.

وبناءً على ذلك، فإنه إذا اعتكف في داخل الحرم، فداخلُ الحرم له فضيلةٌ وله مزيةٌ، لكنَّ المضاعفةَ لا تشملُه، وإنما تختصُّ المضاعفة بالمسجد نفسِه **على أرجح قولي العلماء**، وهو مذهبُ جمهور أهل العلم -رَحِمَهُمُ اللهُ-، واللهُ تعالى أعلم.

أحبَّك اللهُ الذي أحببتني فيه، وأُشهدُ اللهَ على حبِّكم جميعًا فيه، نسألُ اللهَ العظيمَ ربَّ العرش العظيم أن يجمعَنا بهذا الحبّ ووالدينا في مقعد صدقٍ عند مليك مقتدرٍ.

(١) سورة الإسراء، آية: ١.

(٢) سورة التوبة، آية: ٢٨.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٩١.

السؤال الثاني:

فضيلةَ الشَّيخِ، هذا سائلٌ يقولُ: شخصٌ نوى الجلوسَ في الحرم النبويّ من صلاة العصر إلى بعد صلاة القيام، هل يُكتبُ له أجرُ الاعتكاف، وجزاكم اللهُ خيرًا؟

الجواب:

نعم، إذا نوى أنه يعتكفُ فهو معتكفٌ، ويكتبُ له أجرُ الاعتكاف، ولو دخلْتَ لصلاة الظهر، ونويْتَ قبل دخولك بصلاة الظهر أن تعتكفَ مدةَ بقائك في المسجد، فتعتكفُ وتدخلُ وتُصلّي الظهر، ثم تبقى في المسجد تذكرُ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- على ما يتيسَّرُ لك، وتتعاطى الأمورَ التي ينبغي للمعتكف أن يحافظَ عليها حتى تتمَّ اعتكافَك ثم تخرجُ.

الاعتكافُ لا حدَّ له، وليس له زمانٌ محدودٌ، قليلُه وكثيرُه سواءٌ، وهو يكونُ بالنّيّة، فإذا نويْتَ هذا هو **أرجحُ قولي العلماء** -رَحِمَهُمُ اللهُ-، فإنَّ الذين يقولون باشتراط الصَّوم يحدُّون الاعتكافَ.

ثم اختلفوا في أقلّ الاعتكاف، حتى إنَّ **بعضَهم قال**: أقلُّ الاعتكاف عشرةُ أيامٍ، **وبعضُهم يقولُ**: ثلاثةُ أيامٍ، **وبعضُهم يقولُ**: يومٌ؛ بناءً على حديث الصَّوم.

وعند هؤلاء الذين يقولون: أنه يشترَطُ الصَّومُ لصحة الاعتكاف، لا يصحِّحون الاعتكافَ في الأيام التي لا يجوزُ الصَّومُ فيه، كيوم العيد، فلا يصحُّ أن يعتكفَ فيه، وليلةُ العيد لا يصحُّ أن يعتكفَها؛ لأنه محرَّمٌ عليه صومُ يومها، فهذا كلُّه على مذهب اشتراط الصَّوم لصحة الاعتكاف.

وبيَّنَّا أنَّه **مرجوحٌ**، والأدلةُ أطلقَتْ؛ لأنَّ اللهُ تعالى يقولُ: **{وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ}**(١)، ولم يردْ عن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- أنَّ للاعتكاف حدًّا، ولذلك قال بعضُ العلماء، ومنهم الإمامُ أبو بكرٍ الجصَّاص -رَحِمَهُ اللهُ-: (**إنَّ الاعتكافَ لا يأتي إلا بأحدِ دليلين: إمَّا توقيفٌ من الشَّرع، أو إجماعٌ**)، إمَّا أن يأتيَ بتوقيفٍ من الشَّرع، يأتي به الدَّليلُ، أو إجماعٌ، قال -رَحِمَهُ اللهُ-: (**ولا توقيفَ، ولا إجماعَ**) ليس هناك اتفاقٌ، وليس هناك إجماعٌ، وليس هناك دليلٌ.

فإذًا الأصلُ أن يبقى الاعتكافُ على الإطلاق، قليلُه وكثيرُه سواءٌ، فلو أنك دخلْتَ في أيّ وقتٍ للمسجد، وتريدُ أن تعتكفَ فيه، ما الفرقُ؟ لأنك إذا دخلْتَ وأنت غيرُ معتكفٍ، فإنك تدخلُ دخولَ الذي تراعي فيه الحرمةَ المطلقةَ للمسجد، لكن حينما تدخلُ بنيّة الاعتكاف، فأنت تراعي الأمرينِ: حرمة المسجد، وحرمة عبادة الاعتكاف، فتؤجرُ بالأجرينِ، وهذا فيه أجرٌ كثيرٌ للإنسان، وخيرٌ كثيرٌ.

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٧.

لكنَّ الاعتكافَ أمرُه عظيمٌ وصعبٌ، ولذلك ذكر الإمامُ مالكٌ -رَحِمَهُ اللهُ- شدَّته ومؤنتَه، وغيرُه من أئمة السَّلف: الاعتكافُ أمرُه صعبٌ، إلا في زماننا فإنه ما فيه أسهل منه، هذا الزمانُ ما فيه أسهل من الاعتكاف، (والدِّينُ يسرٌ، ولا تشدِّدْ، ولا تعسّرْ، وأولُ مرَّةٍ نسمعُ هذا الكلامَ)، وغير ذلك، خُذْ مما هبَّ ودبَّ.

أمَّا الاعتكافُ هذا أمرٌ آخر، أدركْتُ أقوامًا يعتكفون في هذا المسجد، فواللهِ الذي لا إلهَ غيرُه ولا ربَّ سواه، إنَّ الرَّجُلَ ليخرجُ من معتكفه ترى وجهَه كالشَّمس من نور العبادة، واليومُ يدخلُ الرَّجلُ ويخرجُ وهو على حاله سواء -نَسْأَلُ اللهَ السَّلامَةَ وَالعَافِيَةَ-.

الاعتكافُ أمرُه صعبٌ، الإنسانُ لما يدخلُ في العبادات متأسِّيًا بهدي الشَّرع، معظِّمًا للدِّين وأمر الدِّين، أمرُه يختلفُ، كان الرَّجلُ يخرجُ، وأراه واللهِ بعيني، فأرى كبارَ السِّنّ، فترى الرَّجلَ يمشي ولا يرفعُ بصرَه في الناس، يتلو القرآنَ، يسبِّحُ، يستغفرُ، يذكرُ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ-، الأيامُ كلُّها وهو يأخذُ ويعطي ويقولُ ويثرثرُ، وأمَّا في الاعتكاف فشيءٌ آخر، خلوةٌ بالله، خلوةٌ وأنسٌ بربّ العالمين، ولذلك من اعتكف حقيقةَ الاعتكاف ربما يخرجُ بالخشوع عند سماع القرآن، وربما يخرجُ بكثرة البكاء من سماع القرآن؛ لأنه خلا بربِّه، ففتح اللهُ عليه في العبادة فتوحَ من أخلص لوجهه وأحبَّه سبحانه، المحبُّ إذا خلا بمن يحبُّ، وكان صادقًا في حبِّه، فاللهُ يصفُ أهلَ الإيمان بقوله: **{وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ}**(١)، شهدَ من فوق سبع سماواتٍ أنهم أشدُّ حبًّا لله، اللهم أنت اللهُ لا إلهَ إلا أنتَ نسألُك أن تملأَ قلوبَنا بحبّك، حبًّا يقرِّبُنا إليك ويزيدُنا زلفى إليك، حبًّا نراعي فيه الحرمةَ والتَّعظيمَ لشعائرك، وحال الوقوف في العبادة بين يديك.

أمرُ العبادة عظيمٌ، ولذلك: **{وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى القُلُوبِ}**(٢)، فكلما زادَتِ التَّقوى في القلب زادَتِ الهيبةُ للربّ، وكلُّ شيءٍ إذا اقتربْتَ منه فإنّك تألفُه وتأنسُه إلا الله، فإنَّه كلما اقتربْتَ منه هبْتَه وخفْتَه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، ولذلك أشدُّ الناس خشيةً الأنبياءُ، ثم الأمثلُ فالأمثلُ، فهذا مقامُ العبادة، على كلّ حالٍ، هذا هو الأصلُ، والله تعالى أعلم.

وبناءً على ذلك، لا يُشترَطُ أن يستتمَّ الليلة، ولا يشترَطُ أن يستتمَّ النهارَ، ولو دخل في وقت صلاةٍ أو غير وقت صلاةٍ، الحكمُ سواءٌ، فإذا دخل في وقت الصَّلاة يُصلّي، وإذا دخل في غير وقت الصَّلاة، كأن يدخلَ من بعد صلاة الفجر، وعنده دوامٌ، فيقولُ: (هذه السَّاعةُ التي قبل الدَّوام أو السَّاعتان

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٦٥.

(٢) سورة الحج، آية: ٣٢.

أنويها)، مع أنها ليسَتْ بوقت صلاةٍ، فيجلسُ لتلاوة القرآن والتَّسبيح والاستغفار، وغير ذلك من الأذكار، فإنه يكونُ معتكفًا، والله تعالى أعلم.

السؤال الثالث:

فضيلةَ الشَّيخِ، هذا سائلٌ يقولُ: مقيمٌ بالمدينة، ومعي أسرتي، وأشعرُ أنَّ أُمّي ترغبُ نزولي في الإجازة، لكنَّ المصروفاتِ ستكونُ كثيرةً عليَّ، وجّهُوني أثابَكمُ اللهُ؟

الجواب:

لو كنْتُ مكانَك لذهبْتَ إليها، ليس هناك شيءٌ بعد توحيد الله أعظمُ من برّ الوالدين، وأعظمُ ما يكونُ البرُّ إذا كان العبدُ يجاهدُ ويجتهدُ ويتكلَّفُ ويتعنّى، فالأمُّ أعزُّ من المصروف، ولكن لا يُكلِّفُ اللهُ نفسًا إلا وسعها، وإن صدقْتَ مع الله فسترى من الله حسنَ الخلف وحسنَ العوض ما لم يخطرْ لك على بالٍ، ونسألُ اللهَ أن يعينَك على برّها ورضاها.

أمرُ الأم عظيمٌ، ولذلك **أوصيك أخي** أن تجتهدَ وأن تسافرَ إليها، خاصة وأنك تشعرُ بأنها تريدُك أن تأتيَها، فما أجملَها من إجازةٍ إذا كانت عند قَدَمِ أُمّك؛ لأنها أرضى لربّك، وأتقى لخالقك، فاجتهدْ -رَحِمَكَ اللهُ- واضرعْ إلى الله أن ييسّرَ لك العسيرَ، وأن يُقرِّبَ لك البعيدَ، وأكثرْ من دعائه، وتوسَّلْ إلى الله ببرها، أنَّ اللهَ يعوّضُك، وأنَّ اللهَ يغنيُك، وأنَّ اللهَ ييسّرُ لك ولأولادك، وبإذن الله ستُوفَّقُ، نسألُ اللهَ بعزته وجلاله أن يبلِغَك ذلك، والله تعالى أعلم.

السؤال الرابع:

فضيلةَ الشَّيخِ، هذا سائلٌ يقولُ: ما يُنقل عن المالكية -رَحِمَهُمُ اللهُ- **بالقول بكراهية الاعتكاف لتعسُّر القيام بحقّه على الوجه الشّرعي الصَّحيح، هل يصحُّ عنهم، وجزاكم اللهُ خيرًا؟**

الجواب:

لا أفتي في مذهبٍ، لا أحدَ يسألني عن الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة، كلُّ مذهبٍ له علماؤُه المختصون تسألُهم.

كان منهجُ والدنا -رَحِمَهُ اللهُ- أنه إذا أقرأَ المتنَ بيَّنَ حكمَه ودليلَه، ثم لا يشتغلُ بعد ذلك بتحرير أنَّ هذا المذهبَ هو الأصلُ؛ لأنَّ هذا علمٌ لأهله، والمقصودُ به التَّوثُّقُ بنسبة القول إلى الإمام المجتهد، ليس

هذا بتعصبٍ، إنما تُثبِتُ القولَ عن الإمام أحمد، والقولَ عن الإمام مالك، هذا له مسلكُه، وتجد العلماءَ حتى جهابذة العلماء يقولون: (**وليس هذا قولُ الإمام أحمد، وإنما هو قولُ الأصحاب**).

قال شيخُ الإسلام -رَحِمَهُ اللهُ- في مسألةٍ إيجاب صوم يوم الشَّكّ قال: (**إنه لا يصحُّ عن الإمام أحمد أنَّ القولَ بالوجوب**)، أي أنه أوجب، (**وإنما هو قول أصحابه**)، فهذا كيف عرفَهُ؟ عرفَهُ لأنَّ هناك مناهجُ معتبرةٌ في الرِّوايات عن الإمام بنسبة الحكم إليه، فتتبعها ووجد أنَّ هذا القولَ لا يصحُّ نسبتُه إلى الإمام أحمد، فحينما يوجدُ مَن يكشفُ مثلَ هذا، **هذا أمرٌ مهمٌّ**، والعنايةُ بتحرير مذهبه، ومعرفة جهابذة أصحابه الذين يحرِّرون مذهبَه، ومذهبَ مالكٍ، ومذهبَ الشَّافعي، **هذا مهمٌّ**، ويُحتاجُ إليه في بعض المسائل؛ لأنه قد تُنسبُ الأقوالُ لأئمةٍ، هم منها بُرَاءٌ.

طبعًا هناك ما يُسمّى بـ(**الاجتهاد المقيَّد**)، وهو الاجتهادُ في المذهب، يشتملُ على تحرير القول بنسبة القول إلى الإمام المجتهد، ومعرفة دليله، فهذا المسلكُ له علماؤُه، وله أهلُه؛ فيُرجَعُ إليهم.

نَعَم الإمامُ مالكٌ ذكر أنه لم يُنْقَلْ عن الصّحابة أنهم كانوا يعتكفون؛ بناءً على استقرائه وتتبُّعه، فقال: (**ما اعتكفَ أبو بكرٍ ولا عمرُ ولا عثمانُ**)، ذكر هذا-رَحِمَهُ اللهُ- قال: (**ليس تركُهم لذلك إلا لعُسر الاعتكاف وشدّته**)؛ لأنه لا يستطيعُه كلُّ أحد؛ لماذا؟ لأنَّ الاعتكافَ الذي هو الاعتكافُ الشَّرعيُّ.

وقد يُجابُ: بأنَّ هناك احتمالاً بأنَّ أبا بكرٍ كان مشغولاً بمصالح المسلمين، وعمرُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أكثرُ شغلاً؛ لأنَّ الفتوحاتِ كانت أكثرَ وأوسعَ، وعثمانُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- كذلك، وعَلِيٌّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- في الاضطرابات التي حصلَتْ في زمانهم، **فهذا عذرٌ آخر**، لا يتوقَّفُ الأمرُ على أنهم تركوه من أجل أنه يصلُ إلى حدِّ أنهم لا يقومون بحقّه وحقوقه.

الذي يظهرُ -وَاللهُ أعلمُ- أنَّه للشُّغل، وهذا هو **الأشبهُ والأولى**؛ لأنَّ عمرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- كان يَعُسُّ بنفسه، وكان يتركُ النَّاسَ يقومون بالمسجد، ثم يقوم في آخر الليل؛ لأنه يَعُسُّ وينظرُ في مصالح المسلمين -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ-.

فالشَّاهدُ من هذا: أنَّ **الأشبهَ** هو وجودُ الشُّغل وعسرُه على الأئمة بالنِّسبة لكبار الصَّحابة.

وأمَّا غيرُهم: فغيرُهم تفرَّقوا في الأمصار، ولما تُوُفي النبيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- حملَ الصَّحابةُ هماً غيرَ الهمِّ الذي كانوا فيه، أنهم حملوا همَّ نشر الدِّين، وأيضًا بعد أن فتحوا الفتوحاتِ حملوا همَّ تعليم الناس السُّنن وتعليم الناس أمر الشَّرع -رَضِيَ اللهُ عَنهُم وَأَرْضَاهُم-، فكانوا في شُغلٍ عظيمٍ، وهذا الشُّغلُ وهو العلمُ أعظمُ من العبادة؛ لأنَّ نفعَ المسلمين أعظمُ.

فالشَّيخُ مثلاً إذا كان اعتكافُه يضيّعُ طلبةَ العلم، ويضيّعُ طلبتَه، فلاشكَّ أنَّ قيامَه على طلبته أفضلُ من اعتكافه؛ لأنَّ الاعتكافَ خيرُه قاصرٌ، وأمَّا بالنِّسبة للعلم فهو منتشرٌ، فقد كان السَّلفُ -رَحِمَهُمُ اللهُ- ويُؤثَرُ عن الصَّحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم-: أنَّ الرَّجلَ إذا جاء إلى المعتكِف في حاجةٍ من حوائجه، ويسألُه أن يُفرّجَ عنه بإذن الله كربَه، **فإنّه يتواصون، وفيه: حديثٍ مرفوعٍ** إلى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- **يتواصون بالخروج من الاعتكاف لقضاء حاجة المسلم**، فما بالُك إذا كانت حاجةُ المسلم أعظمَ الحاجات وأجلَّها وأعظمَ القُربات وأعظمَها؟! وهي حاجةُ العلم، فالعلمُ حاجتُه عظيمةٌ.

وبناءً على ذلك، فإنَّ **الذي يظهرُ** أنَّ الصَّحابةَ -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيهِم- شُغِلوا.

لكن هنا ملاحظةٌ في السُّؤال: وهو قولُك: (**كراهية**)، من الصُّعوبة بمكانٍ أن يكونَ الأمرُ مسنونًا، وثبتَتْ به السُّنَّةُ عن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ-، ثم يُوصَفُ بكونه مكروهًا، هذا ما يستقيمُ، لا تُكرَهُ السُّنَّةُ، بل تُحبُّ، ولا تُكرَهُ السُّنَّةُ، ولا يُزَهَّدُ فيها، بل يُرغَّبُ: **{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}**(1)، أنَّ اللهَ بيَّنَ ذلك لعباده من فوق سبع سماواتٍ، فرغَّبَهم في السنة، ورغَّبَهم في اتباع النبي: **{وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}**(2)، فلا يمكنُ أن يُقبَلُ من أحدٍ كائنًا من كان أن يجعلَ سنةَ النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- مكروهًا.

وبناءً على ذلك، لم يحرَّرْ هذا القولُ **في نظري**، وأن وُجِد من المتأخرين، فالمتأخرون ليسوا كالمتقدّمين، فالاقتداءُ بالأوّلين؛ لأنّ المتأخرين أصبح عندهم كثيرٌ من التَّسامح في بعض الأمور، لكن لا يمكنُ أن يُقبَلَ بحالٍ أن تُوصَفَ السُّنَّةُ وهديُ النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- وهو يقولُ للصَّحابة ((**فَلْيَعْتَكِفْ**)) ((**وَمَنْ كَانَ مِنْكُم اعتكَفَ فَلْيَعْتَكِفْ مَعِي العشرَ الأواخرَ**))، ثم نقولُ: (إنَّ هذا مكروهٌ)! إذا كانوا لم يفعلوه بعد وفاته، فقد فعلوه في حياته، وفعلوه معه -عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ-، فمن الصُّعوبة بمكانٍ أن نقولَ: (إنَّه يصلُ إلى حدّ الكراهة)، أو كذا، أبدًا، لا يزالُ الاعتكافُ سنةً مستحبةً مرغَّبًا فيها، والأجرُ فيها عظيمٌ لمن قام بحقّها وحقوقها، والله تعالى أعلم.

---

(1) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(2) سورة الأعراف، آية: ١٥٨.

السؤال الخامس:

فضيلةَ الشَّيخ، هذا سائلٌ يقولُ: هل يجوزُ له الأخذُ من الزَّكاة؛ إعانةً له على الزَّواج، علمًا بأنّه لا يملكُ كلَّ مصروفات الزَّواج، وعليه دينٌ، وجزاكُم اللهُ خيرًا.

الجواب:

الزكاةُ مصارفُها محدودةٌ، بيَّنَها اللهُ من فوق سبع سماواتٍ، ولم يَكِلْها إلى نبيٍّ مرسلٍ، ولا إلى مَلَكٍ مقرَّبٍ؛ لعظم أمرها.

وبيّنَ مصارفَ الزكاة فقال: **{إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ}**(1)، هذه هي مصارفُ الزكاة، ليس فيها شيءٌ اسمُه (الزَّواجُ)، الزَّواجُ إذا أردتَّ أن تُعينَه فتعينُه من عندك، أمَّا الزَّكاة فلا، ففيها حقٌّ ومستحقٌّ لأرامل المسلمين وأيتامهم ومحاوجهم، لا تُعطَى إلا لذي فقرٍ مدقعٍ، ولا تُعطى إلا للفقيرِ والمسكين ومن سمّى اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ-.

وأمَّا القولُ بأنَّ: **{فِي سَبِيلِ اللهِ}** عامٌّ ويشملُ كلَّ باب خيرٍ، هذا **قولٌ مرجوحٌ**، ولو كان قولُه تعالى: **{وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ}** المرادُ به العمومُ، فتُصرَفُ الزَّكاةُ في الزَّواج، وفي طبع الكُتب، وفي الدَّعوة، وغير ذلك، لما خصَّ اللهُ الأصنافَ الثَّمانيةَ، كان قال اللهُ تعالى من البداية: (إنما الصَّدقاتُ في سبيل الله)، لكن عُلِمَ من قوله **{إِنَّمَا}** بأسلوب الحصر والقصر **{إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا}**، ثم قال: **{وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ}**، **{وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ}** لو كان عامًّا، لا يستقيمُ أن يأتيَ بالخاصّ قبل، ثم تأتي بالعامّ، ثم تأتي بالخاصّ، تقولُ: (ليدخلْ عبدُالله وصالحٌ وزيدٌ، والنَّاسُ، وعمرُ وعَلِيٌّ)، ما هذا؟ هذا يُجلُّ منه كلامُ العامة، فكيف بكلام الله -عَزَّ وَجَلَّ-؟! إنما يُؤتى بالعامّ، ويُعطفُ عليه الخاصُّ، أو يُؤتى بالخاصِّ، ثم يُؤتى بعدُ بالعام.

أمَّا أن يُؤتَى بخاصٍّ بعد خاصٍّ بعد خاصٍّ، ستةٌ كلُّهم من الخاصّ، ثم بعد ذلك يقالُ: (إنَّ **{فِي سَبِيلِ اللهِ}** عامٌّ)، لا يمكنُ هذا، ثم يذكرُ بعدَه الخاصّ، سياقُ الآية يدلُّ على عدم هذا.

ولم يُعرَفْ عن الصَّحابةُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- ومَن بعدهم من أئمة العلم ودواوينهم من التابعين أنهم كانوا يتوسّعون في مصارف الزَّكاة.

(1) سورة التوبة، آية: ٦٠.

وعلينا أن نتقِيَ اللهَ في الزَّكاة وأهل الزَّكاة، ولو كان طبعُ الكتب ولو كان الزَّواجُ من مصارف الزكاة، لقدَّمنا الأكبادَ الجائعةَ والأحشاءَ الظَّامئةَ، ولوقفْنَا على محاوج المسلمين من الأرامل والأيتام.

المسلمُ الموفَّقُ ينظرُ إلى ما أمر اللهُ، وينظرُ إلى حكمة الشَّرع في أمره -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، لا يُعقَلُ أن ترى أكبادَ المسلمين الجائعة من الأيتام والأرامل وضعفتهم ومحاويجهم، ثم نأخذُ هذه الزَّكاةَ لنطبعَ بها ونرسلَ بها، وهؤلاء من أحوج ما يكونُ، إنَّ الفقرَ قد ينتهي بالإنسان بالكفر -وَالعِيَاذُ بِاللهِ-، ولذلك **((استعاذَ النبيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- من الفقرِ، واستعاذَ بالله من المغرمِ والمأثمِ))**، واللهُ جعل الغارمين من أهل الزَّكاة، فالغارمُ همُّه بالليل وذلٌّ بالنهار، فهؤلاء هم أهلُ الزَّكاة، نبحثُ عن أهل الزكاة، أنهم أهلُها المستحقّون لها، ونعطيهم ما أمرنا اللهُ بإعطائهم، إذا فعلنا ذلك اتّقينا اللهَ حقَّ التقوى.

والتَّوسُّعُ في هذا، جاءني بعضُ الأخوة، كان حديثَ عهدٍ بالعلم وطلب العلم، ثم شاء اللهُ أن يجلسَ في بعض مجالس العلم، ثم فُوجِئْتُ، وهذا الكلامُ قديمٌ قبلَ ثلاثين سنةً لما كان البعضُ يتساهلُ، فُوجِئْتُ به وقد جاء برسالةٍ في حكمٍ واضحٍ قد أشبعه العلماءُ وقتلَه العلماءُ، فإذا به يقولُ: (يا شيخُ، أريدُ أن تقدِّمَ لي رسالةً، قلْتُ له: رسالةُ ماذا؟ فأطلَعَني على هذه الرِّسالة في هذا الحكم، قال: (أُبشِّرُك أنَّ بعضَ المحسنين ساعدنا)، وذكر مبلغًا بعشرات الألوف في طبعها، ما هذا؟! يأخذُ هذه الرِّسالةَ، ثم يعطيها لأشخاصٍ، في بعض الأحيان تُوزَّعُ حتى لأشخاصٍ ما يقرؤون، ولا ينتفعون، وليُنْظُرْ طالبُ العلم حينما تأتيه الكتبُ المطبوعةُ: ما الذي قرأَ منها؟! فضلاً عن العامة.

علينا أن نتقِيَ اللهَ، ولننظرْ: أنَّ الزَّكاةَ ركنٌ من أركان الإسلام، فينبغي علينا أن نصرفَ الزَّكاةَ، ونبدأَ بأحوج المحتاجين؛ حتى إنَّ بعضَ العلماء يقولُ: (لو وُجِد أكثرُ من صنفٍ للزكاة، فعلينا أن نبدأَ بالأهمّ)، ربُّ الأسرة الذي عليه ديونٌ تضيعُ أسرتُه، وربُّ الأسرة الذي لا يجدُ المطعمَ، ولا يجدُ مصرفًا ما يحتاجُه في مصروفه فهو مسكينٌ إذا وجد بعضَ الشَّيء، وإذا لم يجدْ شيئًا فهو فقيرٌ، وقد يكونُ فقرُه مدقعًا، هؤلاء الذين يكتوون بالدُّيون، وعليهم التزاماتٌ في ديونٍ ماليَّةٍ في مطعمٍ ومسكنٍ ومشربٍ، وليس فيها إسرافٌ، هؤلاء هم أحقُّ، وهؤلاء هم أولى، ومَنْ يشفعُ لهم فإنَّ أجرَه عظيمٌ، ومَن يعرِّفُ بهم فإنَّ ثوابَه كبيرٌ.

وأوصي طلبةَ العلم: أن الأغنياءَ والتُّجارَ أن يصرفوا الزَّكاةَ والصَّدقاتِ، ويبدأوا فيها بالفقراء والمساكين والمديونين، فهؤلاء من أحقِ عباد الله، والأجرُ فيهم عظيمٌ لمن أعطاهم، ولمن شفع لهم، وقضاءُ الدُّيون عن المديونين الذين لم يسرفوا في أموالهم، وهم مستحقّون، فهؤلاء هم أولى، والأجرُ فيهم أعظمٌ، فننظرُ

إلى ما أمر اللهُ به ومقصودِ الشَّرع: من سدّ حاجة المحتاجين الذين هم أهمُّ، والالتفاتُ إلى هذا مهمٌّ. ولذلك توسَّعَ البعضُ في عمل الخير، وأصبح يذهبُ إلى التُّجار، والتَّاجرُ إلى دخل عليه الشَّخصُ بواسطةٍ، أو دخل عليه من هاهنا أو هاهنا؛ من أجل أن يعطيَه مالاً في عملٍ خيريٍّ قد يكونُ من الفضول، ما يدري هذا المسكينُ أنه بأخذ هذا المبلغ من هذا التَّاجرِ قد أغلق أبوابًا لا يعلمُها إلا اللهُ عن الأكباد الجائعة الظامئة، عن الأيتام والأرامل.

علينا أن نبدأَ أوَّلَ ما نبدأُ بالفقراء والمساكين والغارمين، سدادُ الدُّيون عن المديونين، وربُّ الأسرة إذا أُخِذ بالدَّين، وحُبِس بالدَّين، ضاعَتْ أسرتُه، ولربما يكونُ من أشرف الناس، فيُرمَى مع أرذال الناس في همٍّ وكربٍ لا يعلمُه إلا اللهُ، هؤلاء هم أحقُّ وهؤلاء أولى.

وعلى طلبة العلم في الشَّفاعات وفي الأعمال الخيرية أوَّلُ ما يبدأُ بهؤلاء.

وليس معنى هذا التَّزهيدُ، فهناك جمعياتٌ خيريةٌ لها أعمالٌ تُذكَرُ فتُشكَرُ، وتوسَّعُوا جزاهم اللهُ خيرًا، حتى أنهم خصّ الجمعيات الخيرية التي تتعلَّقُ بالمرضى وما يحتاجون إليه في علاجهم، فهذه أجرُها عظيمٌ، والشَّفاعةُ لهم والمعونةُ لهم ومدُّ المساعدة لهم، هذا مَن يحتسبُ في ذلك أجرٌ عظيمٌ، وجزى اللهُ الأطباءَ ونحوهم الذين يفتحون مثلَ هذه الجمعياتِ لشراء الأدوية وشراء ما يحتاجُه هؤلاء للمعالجة؛ لأنَّ بعضَ الأمراض تُكلِّفُ كثيرًا، وهؤلاء الذين جنَّدوا أنفسَهم لهذه الأعمال الخيرية بخٍ بخٍ، هنيئًا لهم واللهِ، فهؤلاء لا نزهِّدُ فيهم، **نحنُ نتكلَّمُ عن التَّوسُّع في الزَّواج، والتَّوسُّع في بناء المساجد،** حتى إنَّ أهلَ الحيِّ يقولون: (لا نريدُ أن نُصلِّيَ الجمعةَ في الحيّ الفلاني)، وليس بينهم وبين الحيّ إلا شارعٌ، هذه حقائقُ معروفةٌ وموجودةٌ، فإذا بهم يذهبون إلى الغنيِّ، ويأخذون منه المليونَ، ويأخذون منه مئاتِ الألوفَ لبناء مسجدٍ قد يكونُ من مسجد الضِّرار؛ لأنَّ اللهَ فرضَ عليهم أن يُصلّوا الجمعةَ مع إخوانهم، وتعدادُ الجمعة فيه ما فيه ومعروفٌ، هذه أمورٌ كلُّها تُوُسِّعَ فيها حتى أصبحَتْ تُضيِّقُ على أمورٍ هي أهمُّ وأوجبُ وآكدُ وأولى.

فعلينا أن نتقِيَ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ-، وأن نتعاونَ على البرّ والتّقوى، وأن ننظرَ إلى الأحوج فالأحوج؛ لأنه من النَّصيحة.

وأكرّرُ: أنَّ كلَّ مَن سعى في خيرٍ للمسلمين، كجمعيات الزَّواج ونحوها، أنهم على خيرٍ، وعلى أجرٍ، ولكنَّنا نتكلَّمُ عن الأهمّ فالأهمّ، وهذا لا يمنعُ أن يكونَ الإنسانُ شافعًا في كلّ عملٍ خيريٍّ، فمن تفطَّرَ قلبُه على المسلمين، وسعى في قضاء حوائجهم، فإنَّ أجرَه عند الله عظيمٌ.

نسألُ اللهَ أن يرزقَنا الإخلاصَ والسَّدادَ، وأن يكتبَ لنا القبولَ، وأن يعينَنا على تحرّي الصَّواب في أمورنا، وأن يهيّئَ لنا في أمورنا رشدًا.

وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربّ العالمينَ، وصلَّى اللهُ وسلَّمَ وباركَ على نبيّه وآلِه وصحبِه أجمعينَ.